

رأيت المفجر ..

كنت قد تعودت حين أغادر الأسكندرية الحبيبة إلى قلبي أن أستقل سيارتي الخاصة في الصباح الباكر لكي يكون وصولي إلى القاهرة في وقت المضحى.

وذات ليلة قررت أن أسافر في منتصف الليل تقريباً. كانت حركة السيارات قد بدأت تقل في شارع الكورنيش، والأضواء تخفت. وبعد أن غادرت عمران المدينة، وتجاوزت طريق الملاحمات، وخرجت من البوابة.. فوجئت بوجود (شبورة) ضخمة تلف المكان.

ولمن لا يعرف حقيقة الشبوره فإنها عبارة عن كتلة كثيفة من بخار الماء، المختلط برائحة البحر، والنباتات المجافة والمتعرضة.. وقد حجبت الرؤية عن بشدة، وكذلك عن باقى السيارات الأخرى إلى حد أنها اضطررت إلى أن تسير ببطء بالغ، مشغلة الأضواء الأمامية والخلفية لكي لا يصطدم بعضها ببعض. حاولت متابعتها لفترة لكنني ما لبثت أن فقدت الرؤية تماماً. وعلى الفور ركنت السيارة بجانب الطريق، وجلست أنتظر وأنا في غاية المضيق والمضجر. كانت الساحة قد اقتربت من الثالثة، ووجدتني أقول لنفسي:

— لماذا من أجل السلامة لا أنتظر انقشاع الشبوره ، وبالمرةأشاهد طلوع الفجر الذي لم أره في حياتي من قبل ؟

رحت أنظر بصعوبة إلى نهاية الأفق، حيث تتلامس السماء والأرض. وبالتدريج بدأ ينبعق من جوف تلك الظلمة ضوء أبيض ممتنع بزرقة، فيكشف عن بعض الأشجار، والتخيل، والقليل من الطيور التي تتنقل بينهما. والمغريب أن ذلك الضوء كان يخرج من الأسفل، ولما يهبط من الأعلى.. ثم راح ينتشر ويتسع رويداً رويداً، حتى غطى مساحة واسعة، لكنها ظلت بعيدة عنى بسبب تواجدي في قبة الشبوره الكثيفة من حولي. وبعد حوالي نصف ساعة بدأت السيارات تتتسارع على الطريق، وكان بعض سائقيها ينظرون نحوى بدهشة، وكأنهم يقولون :

— لماذا تقف هذه السيارة بهذا الشكل؟!

حاولت أن أسلى نفسي قليلاً، ففتحت الم rádio، لكنني لم أرتح لموسيقاه، فأسرعت بإغلاقه، ورحت أتابع ذلك المشهد الكوني وهو يتحول أمام عيني منظلمة الداكنة، إلى الضوء المخافت، فالنور الكامل، حتى طلعت الشمس.

كانت الشبورة قد تأكلت أطرافها، وخفت كثافتها، فانطلقت بالسيارة على الطريق، ورغم أن النوم كان يغالبني بقوّة إما أنني كنت منتسباً بذلك التجربة الفريدة.

حين وصلت إلى منزلي بالقاهرة، كنت مرهقاً للغاية، فألقيت بجسدي على أقرب مقعد، وجلست مغمض العينين، ورحت أسترجع تلك اللحظات التي عشتها في قلب تلك التجربة الخاصة التي سمحت لي أن أكون جزءاً منها، واندمجت فيها بكل جوارحي، ولعلها لن تتكرر مرة أخرى!

رأيت المفجر..

كنت قد تعودت حين أغادر الأسكندرية الحبيبة إلى قلبي أن أستقل سيارتي الخاصة في الصباح الباكر لكي يكون وصولي إلى القاهرة في وقت المضحى.

وذات ليلة قررت أن أسافر في منتصف الليل تقريباً. كانت حركة السيارات قد بدأت تقل في شارع المكورنيش، والأضواء تخفت. وبعد أن غادرت عمران المدينة، وتجاوزت طريق الملاحمات، وخرجت من المبواة.. فوجئت بوجود (شبورة) ضخمة تلف المكان. ولمن لا يعرفحقيقة الشبورة فإنها عبارة عن كتلة كثيفة من بخار الماء، المختلط برائحة البحر، والنباتات المجافة والمتعفنة.. وقد حجبت الرؤية عن بشدة، وكذلك عن باقي السيارات الأخرى إلى حد أنها اضطررت إلى أن تسير ببطء باللغ، مشغولة الأضواء الأمامية والخلفية لكي لا يصطدم بعضها ببعض. حاولت متابعتها لفترة لكنني ما لبثت أن فقدت الرؤية تماماً. وعلى الفور ركنت السيارة بجانب الطريق، وجلست أنظر وأنا في غاية الضيق والضجر. كانت الساعة قد اقتربت من الثالثة، ووجدتني أقول لنفسي:

— لماذا من أجل السلام لا أنتظر انقطاع الشبورة، وبالمرة أشاهد طلوع الفجر الذي لم أره في حياتي من قبل؟
رحت أنتظر بصعوبة إلى نهاية الأفق، حيث تتلامس السماء والأرض. وبالتدريج بدأ ينبعق من جوف تلك الظلمة ضوء أبيض ممتنع بزرقة، فيكشف عن بعض الأشجار، والتخيل، والمقليل من الطيور التي تتنقل بينهما. والغرير أن ذلك الضوء كان يخرج من الأسفل، ولما يهبط من الأعلى.. ثم راح ينتشر ويتسع رويداً رويداً، حتى غطى مساحة واسعة، لكنها ظلت بعيدة عنّي بسبب تواجدى في قبة الشبورة الكثيفة من حولي. وبعد حوالي نصف ساعة بدأت السيارات تتسارع على الطريق، وكان بعض سائقيها ينظرون نحوى بدھة، وكأنهم يقولون:

— لماذا تقف هذه السيارة بهذا الشكل؟!

حاولت أن أسلى نفسي قليلاً، ففتحت الم rádio، لكنني لم أرتح لموسيقاه، فأسرعت بإغلاقه، ورحت أتابع ذلك المشهد الكوني وهو يتحول أمام عيني منظلمة الداكنة، إلى الضوء المخافت، فالنور الكامل، حتى طلعت الشمس.

كانت الشبورة قد تأكلت أطرافها، وخفت كثافتها، فانطلقت بالسيارة على الطريق، ورغم أن النوم كان يغالبني بقوّة إما أنني كنت منتسباً بذلك التجربة الفريدة.

حين وصلت إلى منزلي بالقاهرة، كنت مرهقاً للغاية، فألقيت بجسدي على أقرب مقعد، وجلست مغمض العينين، ورحت أسترجع تلك اللحظات التي عشتها في قلب تلك التجربة الخاصة التي سمحت لي أن أكون جزءاً منها، واندمجت فيها بكل جوارحي، ولعلها لن

تتكرر مرة أخرى !